بسم الله الرحمن الرحيم

# عِنايةُ الإسلامِ بالمُجتمَعِ ورِعايةُ مَصالِحِه

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِلإِسْلامِ، وَجَعَلَ فِي دِينِهِ الطُّمَأْنِينَةَ وَالسَّلامَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَ المُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ بِالخَيْرَاتِ العِظَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، فَفِي التَّقْوَى الفَلاحُ وَالنَّجَاةُ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِمَنْ قَبْلَكُمْ وَلَكُمْ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، إِنَّ الإِسْلامَ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا دِينًا، جَاءَنَا لِيَكُونَ لِلنَّاسِ هَادِيًا، وَنُورًا يُضِيءُ مَسَارَاتِ العِبَادِ، نَحْوَ المَعَانِي الحَقَّةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَالإِسْلامُ بِشَرْعِهِ القَوِيمِ، وَسَمَاحَتِهِ الشَّامِلَةِ، لَمْ تَقْتَصِرْ تَعَالِيمُهُ وَتَأْثِيرَاتُهُ عَلَى الفَرْدِ وَالعِبَادَاتِ الشَّخْصِيَّةِ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ، بَلْ جَاءَ أَيْضًا لِيَبْنِيَ مُجْتَمَعَاتٍ مَتِينَةً، تَقُومُ عَلَى عَلاقَاتٍ مُتَرَابِطَةٍ، يَسُودُهَا العَدْلُ وَالرَّحْمَةُ، وَالأُلْفَةُ وَالمَحَبَّةُ، مُجْتَمَعَاتٍ تَرْعَى حُقُوقَ أَفْرَادِهَا، وَتَعْمَلُ عَلَى تَنْمِيَةِ جَوَانِبِ حَيَاتِهِمْ بِالخَيْرِ وَالإِحْسَانِ.

عِبَادَ اللهِ:

لَقَدْ أَوْلَى الإِسْلامُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِالمُجْتَمَعِ، وَهَذَا الاهْتِمَامُ فِي جَوْهَرِهِ اهْتِمَامٌ بِالفَرْدِ ذَاتِهِ، ذَلِكَ أَنَّ الفَرْدَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ حَيَاتُهُ مِنْ دُونِ مُجْتَمَعٍ آمِنٍ وَمُسْتَقِرٍّ يُعِينُهُ عَلَى مَعَاشِهِ وَأُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. وَقَدْ أَسَّسَ الإِسْلامُ قَوَاعِدَ المُجْتَمَعِ المُتَمَاسِكِ بِتَعْزِيزِهِ مَفْهُومَ الإِخَاءِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، يَقُولُ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا

(١)النساء: ١٣١
(٢)المائدة: ٣

ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]، فَالإِصْلاحُ بَيْنَ النَّاسِ سَبِيلٌ إِلَى الحِفَاظِ عَلَى عَلاقَاتٍ مُتَوَازِنَةٍ وَمُسْتَقِرَّةٍ، وَبِنَاءِ مُجْتَمَعَاتٍ تَسُودُهَا مَشَاعِرُ الوُدِّ وَالاحْتِرَامِ، وَتَبْقَى حَتَّى مَعَ تَعَاقُبِ الأَجْيَالِ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]. وَقَدْ رَسَّخَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا المَبْدَأَ بِقَولِهِ: ((مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ أَجْمَلِ صُوَرِ اهْتِمَامِ الإِسْلامِ بِالمُجْتَمَعِ أَنَّهُ حَرَصَ عَلَى تَحْقِيقِ مَبَادِئِ التَّكَافُلِ الاجْتِمَاعِيِّ فِيهِ، فَجَعَلَ الزَّكَاةَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضانَ))، وَالمُتَأَمِّلُ لِأَرْكَانِ الإِسْلامِ يَجِدُهَا أَرْكَانًا تُلامِسُ العَلاقَةَ المُبَاشِرَةَ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ: مِنْ شَهَادَةٍ وَصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ، لِيَتَوَسَّطَهَا رُكْنُ الزَّكَاةِ، وَهِيَ عِبَادَةٌ تَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الفَرْدِ ذَاتِهِ، إِلَى غَيْرِهِ فِي المُجْتَمَعِ. وَالزَّكَاةُ فِي الإِسْلامِ نِظَامٌ يُحَقِّقُ أَهْدَافًا اجْتِمَاعِيَّةً عِدَّةً، فَهُوَ عَامِلٌ مِنْ عَوَامِلِ سَدِّ الفَجْوَةِ بَيْنَ المَيْسُورِينَ وَالمُعْسِرِينَ، وَعَامِلٌ لِتَعْزِيزِ رُوحِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ، وَهُوَ نِظَامٌ تَدْعَمُهُ وُجُوهٌ أُخْرَى مِنَ التَّكَافُلِ الاجْتِمَاعِيِّ فِي الإِسْلامِ كَالصَّدَقَةِ وَالوَقْفِ اللَّذَيْنِ تَعُمُّ خَيْرَاتُهُمَا شَرَائِحَ المُجْتَمَعِ كَافَّةً، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[3].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

(١)الحجرات: ١٠
(٢)الحشر: ١٠
(٣)البقرة: ٢١٥

الحَمْدُ للهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ أَجَلِّ الأَمْثِلَةِ لاهْتِمَامِ الإِسْلامِ بِالمُجْتَمَعِ حَثَّهُ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ، فَالعِلْمُ مِفْتَاحٌ لِلْفَهْمِ الصَّحِيحِ لِلدِّينِ، وَأَسَاسٌ لِتَطْوِيرِ مَجَالاتِ الحَيَاةِ، وَمُشَارَكَةِ الأَفْرَادِ فِي بِنَاءِ المُجْتَمَعِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)). وَالعِلْمُ فِي الإِسْلامِ لَيْسَ غَايَةً فِي حَدِّ ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلى تَحْقِيقِ الخَيْرِ وَالمَنَافِعِ لِلأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، وَلِذَا عَدَّ الإِسْلامُ تَعْلِيمَ العِلْمِ لِلْغَيْرِ مَنِ الصَّدَقَاتِ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: ((تَعَلَّمُوا العِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ))، وَهَذَا -عِبَادَ اللهِ - مِن اهْتِمَامِ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ بِالفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَهُوَ سَبِيلٌ نَحْوَ اسْتِدَامَةِ المَكَاسِبِ وَالمُنْجَزَاتِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الأَقْصَى المُبَارَكِ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ

(١) الأحزاب: ٥٦

عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.